

إيلا كيمادا غراندي □□ الجزيرة التي يحكمها آلاف الثعابين السامة



الاثنين 17 أغسطس 2026 07:30 م

عيدًا عن السواحل البرازيلية، وعلى مسافة تقارب 25 ميلًا من ساحل ولاية ساو باولو، تقع جزيرة ****إيلا كيمادا غراندي****، المعروفة على نطاق واسع باسم «جزيرة الثعابين»، وهي واحدة من أكثر الأماكن إثارة للجدل والغموض في العالم، بعدما ارتبط اسمها على مدار عقود بانتشار كثيف للثعابين السامة، وفي مقدمتها ثعبان «الرأس الذهبي» أو «الرأس الرمح الذهبي».

وتبدو الجزيرة من الخارج كقطعة طبيعية هادئة وسط المحيط، تغطيها النباتات وتحيط بها المياه، إلا أن طبيعتها الداخلية جعلتها واحدة من أكثر الجزر التي ارتبطت في المخيلة الشعبية بالخطر والموت □ فوجود أعداد كبيرة من الثعابين السامة، إلى جانب الطبيعة الوعرة للجزيرة وصعوبة الوصول إليها، جعل السلطات البرازيلية تفرض قيودًا مشددة على دخولها، خصوصًا بالنسبة إلى الزوار العاديين □

وعلى الرغم من أن بعض الروايات المتداولة حول الجزيرة تحمل طابعًا أسطوريًا، فإن الخطر البيولوجي المرتبط بها حقيقي، وهو ما جعلها موضوعًا دائمًا للباحثين وعشاق الطبيعة والمهتمين بالحياة البرية □

منارة وسط جزيرة لا يسكنها البشر

لم تكن إيلا كيمادا غراندي دائمًا خالية من السكان □ ففي بدايات القرن العشرين، عاش عدد محدود من الأشخاص على الجزيرة من أجل تشغيل المنارة الموجودة بها ومتابعة أعمالها □

وتتناقل روايات محلية قصصًا مرعبة عن مصير بعض العاملين في المنارة، من بينها قصة تقول إن أحد حراس المنارة عُثر عليه مقتولًا مع أفراد أسرته بعد تعرض منزلهم لهجوم من الثعابين □

كما انتشرت روايات أخرى عن صيادين أو أشخاص اقتربوا من الجزيرة وانتهى بهم الأمر في ظروف غامضة، إلا أن الكثير من هذه القصص يصعب التحقق من تفاصيلها تاريخيًا، ولذلك اختلطت الحقائق بالأساطير وأصبحت الجزيرة بمرور الوقت مادة خصبة للحكايات المخيفة □

ومع تزايد شهرة الجزيرة، ترسخت صورتها باعتبارها مكانًا لا ينبغي للإنسان أن يغامر بدخوله دون تصريح وخبرة وتجهيزات مناسبة □

آلاف الثعابين في مساحة محدودة

السبب الرئيسي وراء شهرة إيلا كيمادا غراندي هو انتشار الثعابين فيها، وعلى رأسها ****ثعبان الرأس الذهبي الرمح****، وهو نوع من الأفاعي السامة المتوطنة في الجزيرة □

وتشير تقديرات متداولة إلى وجود آلاف الثعابين في الجزيرة، مع اختلاف الأرقام بحسب الدراسات والتقديرات، بينما ساهمت المبالغات الشعبية في انتشار أرقام ضخمة للغاية حول كثافتها، من بينها الادعاء الشهير بوجود ثعبان لكل متر أو مساحة صغيرة جدًا □

لكن الحقيقة العلمية أكثر تعقيدًا من هذه الروايات؛ فالثعابين ليست موزعة بالتساوي في كل شبر من الجزيرة، كما أن كثافتها تختلف باختلاف البيئة والغطاء النباتي وتوافر الغذاء □

ومع ذلك، فإن وجود تجمع كبير من الأفاعي السامة في جزيرة صغيرة نسبيًا يكفي لجعل المكان شديد الحساسية بالنسبة للزوار □

كيف أصبحت الجزيرة موطنًا للثعابين؟

لا ترتبط قصة الثعابين في الجزيرة بالقراصنة والكنوز المدفونة، رغم أن هذه واحدة من أشهر الأساطير المتداولة حول المكان

وتقول إحدى الروايات الشعبية إن القراصنة تركوا الثعابين في الجزيرة لحماية كنز مخبأ فيها ومنع أي شخص من الاقتراب منه، لكن لا توجد أدلة علمية موثوقة تؤكد هذه القصة

أما التفسير العلمي فيرتبط بتاريخ الجزيرة الجيولوجي وتطور الحياة البرية فيها

فمنذ آلاف السنين، كانت إيلا كيمادا غراندي مرتبطة بالبر الرئيسي للبرازيل، قبل أن يؤدي ارتفاع مستوى سطح البحر إلى عزلها عن اليابسة وتحويلها إلى جزيرة منفصلة

ومع مرور آلاف السنين، أصبحت الحيوانات الموجودة على الجزيرة تعيش في بيئة معزولة، وهو ما أدى إلى ظهور مسار تطوري مختلف لبعض الأنواع

العزلة صنعت نوعًا مختلفًا من الثعابين

أحد أبرز الأمثلة على هذا التطور هو ثعبان الرأس الذهبي الرمح، الذي يختلف عن أقاربه الموجودين في البر الرئيسي

فمع غياب بعض الحيوانات المفترسة ووجود مصادر غذاء محدودة، تكيف الثعابين مع الظروف البيئية الخاصة بالجزيرة

ولا تعتمد هذه الأفاعي بصورة أساسية على الثدييات الصغيرة الموجودة بكثرة في بعض البيئات البرية، وإنما ترتبط بشكل كبير بالطيور، ولا سيما الطيور المهاجرة التي تستخدم الجزيرة خلال رحلاتها للتوقف والراحة

وهنا ظهر أحد أهم جوانب التكيف التطوري؛ إذ تحتاج الثعابين إلى التعامل مع فرائس يمكنها الطيران والابتعاد بسرعة، ولذلك ارتبطت طبيعة سمها بقدرتها على إخضاع الفرائس بسرعة

ويعد هذا التكيف أحد الأسباب التي تجعل ثعبان الرأس الذهبي الرمح موضع اهتمام علمي كبير

سم شديد القوة جعلها موضع اهتمام العلماء

لا تكمن خطورة الثعبان في وجوده فقط، وإنما في طبيعة السم الذي يحمله

فثعابين الرأس الرمح من الأفاعي السامة، ويمكن لسمها أن يسبب أضرارًا بالغة للجسم، بما في ذلك اضطرابات خطيرة في الدورة الدموية وتلف الأنسجة ومضاعفات أخرى قد تكون قاتلة في حال عدم الحصول على العلاج الطبي المناسب

ولهذا السبب، فإن التعامل مع هذه الثعابين ليس أمرًا يمكن اعتباره مغامرة عادية، إذ يتطلب خبرة علمية واحتياطات صارمة

وفي الوقت نفسه، فإن قوة السم ليست مجرد وسيلة لقتل الفرائس، وإنما جزء من منظومة التكيف التي سمحت لهذه الأفاعي بالبقاء والتكاثر في بيئة جزيرية محدودة الموارد

لماذا لا تختفي الثعابين من الجزيرة؟

قد يبدو من المنطقي أن يؤدي وجود أعداد كبيرة من الثعابين إلى استنزاف مصادر الغذاء، لكن النظام البيئي في الجزيرة تطور بطريقة مختلفة

فالجزيرة تمثل نظامًا بيئيًا مغلقًا نسبيًا، وتعيش فيها أنواع مختلفة من الكائنات والنباتات التي تشكل شبكة غذائية متكاملة

وتوفر الطيور المهاجرة، على وجه الخصوص، مصدرًا مهمًا للغذاء خلال فترات معينة من العام، بينما تسمح طبيعة الجزيرة النباتية للثعابين بالاختباء ومراقبة الفرائس

وبمرور آلاف السنين، أصبحت الأفاعي جزءًا أساسيًا من النظام البيئي للجزيرة، وليس مجرد كائنات دخيلة عليها

لماذا تمنع السلطات البرازيلية الزيارات العادية؟

شهرة الجزيرة لم تكن السبب الوحيد وراء منع السياحة العشوائية إليها، بل إن طبيعتها البيئية والإنسانية شديدة الحساسية

فالاقتراب من جزيرة تحتوي على أعداد كبيرة من الثعابين السامة يمثل خطرًا حقيقيًا على حياة الأشخاص غير المدربين، كما أن إدخال البشر إلى هذا النظام البيئي قد يؤدي إلى أضرار بيئية

ولهذا تخضع الزيارات إلى الجزيرة لقيود وإجراءات رسمية، ولا تُعامل باعتبارها وجهة سياحية عادية يمكن لأي شخص الوصول إليها متى أراد

ويُسمح للباحثين والمتخصصين في بعض الحالات بالوصول إليها وفق ضوابط محددة، بينما لا تشجع السلطات على الزيارات غير المنظمة أو المغامرات الفردية

بين الحقيقة والأسطورة

ربما تكون أكثر العناصر إثارة في قصة إيلا كيمادا غراندي هي الطريقة التي امتزجت بها الحقائق العلمية مع الروايات الشعبية فوجود الثعابين السامة حقيقة، وعزل الجزيرة عن البر الرئيسي حقيقة، ووجود نوع من الأفاعي تطور بصورة خاصة داخل الجزيرة حقيقة علمية

أما قصص القراصنة والكنوز والقتلى الذين تملأ الثعابين أجسادهم، فقد دخلت إلى منطقة الأساطير والحكايات الشعبية، وأصبحت جزءاً من الصورة المربعة التي تحيط بالمكان وهذا الخليط بين الحقيقة والخيال جعل الجزيرة واحدة من أشهر الجزر الغامضة في العالم

جزيرة تحولت إلى مختبر طبيعي

وبعيداً عن الصورة المربعة التي ارتبطت بها الجزيرة، فإن إيلا كيمادا غراندي تمثل أهمية علمية كبيرة فالجزيرة توفر نموذجاً طبيعياً لدراسة تأثير العزلة الجغرافية على تطور الأنواع، وكيف يمكن للكائنات الحية أن تتغير بمرور آلاف السنين عندما تنفصل عن مجموعاتها الموجودة في البر الرئيسي

ويولي العلماء اهتماماً خاصاً بالثعابين المتوطنة في الجزيرة، لأنها تمثل مثلاً على التطور في بيئة جزيرية محدودة، وتكشف عن الطريقة التي يمكن أن تؤثر بها مصادر الغذاء والافتراس والمناخ والجغرافيا في خصائص الكائنات الحية